الخيال

د.رحيم الساعدي

تداخلات :

يختصر معجم لالاند كعادته وبتركيز دأب على استخدامه تفسير مصطلح الخيال Imagination ([1]) وهو يحيلنا إلى خيارين الأول: يعده ملكة تكوين الخيالات بالمعنى ويقال غالبا خيال نسخي أو ذاكرة متخيلة والثاني: ملكة تركيب خيالات في لوحات أو في متواليات تحاكي وقائع الطبيعة وظواهرها لكنها لا تمثل شيئا مما هو واقعي أو وجودي.

وربما تضايفت هذه اللفظة، ففي الفرنسية (Image) أو الإنكليزية (Image) وأيضا اللاتينية Imago، Imaginis إلا انها تدلل على معنى متعدد تمثل بال**خيال** الشخص، والطيف، وصورة تمثال الشيء في المرآة، وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صور . وهو ما أقرّه المعجم الفلسفي الذي ربط ال**خيال** أيضاً بالظن والتوهم، ويدل في اصطلاحنا على الصورة الباقية في النفس بعد غيبة المحسوس عنها، فإما أن تكون هذه الصورة تمثيلاً مادياً لشيء خارجي مدرك بحاسة البصر، كارتسام **خيال** الشيء في المرآة، أو تمثيله بخطوط بيانية، وإما أن تكون تمثلاً ذهنياً لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس ([2]) . واصطلاحا ومن نافذة علم النفس فان تلك الكلمة تصاغ بشكل صور ذهنية، أو تصور imagery أو خيال، تخيل Imagination و تدل هذه الكلمة على كل ما له علاقة بالخيال والملكات

---

[1]- معجم لالاند –معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية ،تعريب خليل أحمد خليل،3 مجلدات، بيروت،2001، A-G ، ص60، ويورد ألفاظا ذات ارتباط بالخيال مثل الخيال خلاق ، خيال تجديدي ،خيالات متتالية ، خيالات نوعية .

[2] - د.جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982، ص546-547 .

والقدرات الإبداعية ([3]) وهي تقترب بشكل أو بآخر من اصطلاحات مثل فَانتازيا، هاجس، وهم fantasy/phantasy والفنتازيا تشير بشكل خاص إلى استغراق في خيال ووهم بعيد عن الواقع ([4]).

وأصل الخيال القوّة المجرّدة كالصورة المتصوّرة في المنام وفي المرآة وفي القلب، ثم استُعمل في صورة كل أمر مُتصوَّر، وفي كل دقيق يجري مجرى الخيال ([5]) .

اما من الجانب اللغويّ فما من شك أن نتبع اللفظة في صفحات اللغة سيكون أكثر تشعبا لتنوع اللغة العربية، فيقول الفراهيدي و ابن منظور ([6]) خال الشيء يخال خيلا ، وخيله ، و خالا وخيلانا ، ومخيلة ومخالة وخيلولة، وفي التهذيب خِلْته زيداً خيلاناً، بالكسر، ومنه المثل(من يسمع يخل أي يظن) وخيل عليه تخييلا وتخيلاً ، وجه التُّهْمة إليه كما في المحكم .وخيَّل فيه الخير، تفرّسه وتَخيّل الشيء له إذا تشبّه . وقال الراغب: التخيُّل: تصور خيال الشيء في النفس ....وخُيّل إليه أنه كذا.. من التخيل والوهم، ومنه قوله تعالى((يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى))

وورد عند ابن فارس أن الخيال هو الشخص، وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه و يتلون وخيلت للناقة، إذا وضعت لولدها خيالا يفزع منه الذئب، وتخيلت السماء، إذا تهيأت للمطر، ولابد أن يكون عند ذلك تغير اللون ،والمخيلة ، السحابة ، وخيلت على الرجل تخيلا ([7]).

---

[3]- د.لطفي الشربيني معجم مصطلحات الطب النفسي ،مراجعة د.عادل صادق ، تحرير مركز تعريب العلوم الصحية ، الكويت ، بلا تاريخ ، ص85 .

[4] - معجم مصطلحات الطب النفسي ، المصدر السابق ،ص57

[5] - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر بيروت لبنان، 1414هـ - 1994م ، مادة خيل، مجلد14 ،ص 221.

[6] - الخليل الفراهيدي، كتاب العين ، 4اجزاء ،ط2 ، تحقيق د. مهدي المخزومي – د.ابراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ،1410هـ -ش، ج4 ص306 . ابن منظور ،لسان العرب ،11 جزء ، نشر أدب الحوزة ،قم ، 1405 هـ- ش ،ج11 ص 226.

[7] - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون ط1، دار الجيل، م2، مادة خيل، بيروت ،1991 ص235-236 .

ويمكن من نافذة اللغة العربية وسواها ، تحديد مقارنة للمفاهيم التي تشترك بمعنى أو بآخر وتتداخل مع مفهوم الخيال ، وهو أمر يحدد منهجا يمكننا الاستفادة من مادة الخيال ، فقد يبدو من المهم التفرقة بين مفهومي التصور والتخيل . فأن التصور تخيل لا يثبت على حال وإذا ثبت على حال لم يكن تخيلا فإذا تصور الشيء في الوقت الأول ولم يتصور في الوقت الثاني قيل إنه تخيل ، وقيل التخيل تصور الشيء على بعض أوصافه دون بعض فلهذا لا يتحقق ، والتخيل والتوهم ينافيان العلم كما أن الظن والشك ينافيانه ([8]).

ويعطي صاحب كتاب الفروق اللغوية فرقا جوهريا آخر بين كل من التصور والتوهم من أن تصور الشيء يكون مع العلم به، وتوهمه لا يكون مع العلم به لأن التوهم من قبيل التجويز والتجويز ينافي العلم، وقال بعضهم التوهم يجري مجرى الظنون ويتناول المدرك وغير المدرك وذلك مثل أن يخبرك من لا تعرف صدقه عما لا يخيل العقل فيتخيل كونه فإذا عرفت صدقه وقع العلم بمخبره زال التوهم، وقال آخر: التوهم هو تجويز ما لا يمتنع من الجائز والواجب ولا يجوز أن يتوهم الإنسان ما يمتنع كونه، ألا ترى أنه لا يجوز أن يتوهم الشيء متحركا وساكنا في حال واحدة ([9]) .

وفي معجم لالاند الوهم كل ضلالة وتعد مفردة تقابل الهلوسة وهي عرض زائف ليس مصدره معطيات الإحساس ذاتها بل طريقة التأويل الإدراكي للإحساس وفي علم النفس يميز بين عدة أنواع من الأوهام منها الطبيعية والإدراكية المكتسبة([10]) .

وفي تحليل لمفهوم الطيف مع الخيال يقول الفراهيدي، كل شيء يغشى البصر من وسواس الشيطان فهو طيف وما في الأشعار من الطيف نحو قوله (أرّقنى زائر

---

[8] - ابو هلال العسكري،الفروق اللغوية ،مؤسسة النشر الإسلامي – جماعة المدرسين،ط1،قم ،1312هـ.ق،ص493 .

[9] - ابو هلال العسكري،الفروق اللغوية ،ص127 .

[10] - معجم لالاند ،المصدر السابق ،ص616

طيف أرقا) يعني أنّه يرى خيالها في منامه فذلك طيفها([11]) .وهو ما قاله ابن منظور وجاء في كتاب لسان العرب([12])، عن الطيف وطيف الخيال. ففي حديث قال بعض القوم قد أصاب هذا الغلام لمم أو طيف من الجن أي عرض له عارض منهم وأصل الطيف الجنون ثمّ استعمل في الغضب ومسّ الشيطان يقال طاف يطيف ويطوف طيفاً وطوفاً فهو طائف ثم سمّى بالمصدر، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم وفي الحديث فطاف بى رجل وأنا نائم والطياف سواد الليل وأنشد :

عِقبان دَجْنٍ بادَرَتْ طِيافا طَيفُ الخيالِ مَجيئه في النوم

وقال أمية بن أبي عائذ: ألا يا لقومي لِطَيْف الخيال، أَرَّق مِن نازِحٍ ذي دَلال.

البنية التحتية للخيال

أولا: تعريف الخيال:

يعرِّف أفلاطون التخيل بأنه مصور أو رسام يرسم في النفس أشباه الأشياء المدركة بالحس ويأخذ من الحواس موضوعات الحس التي تصبح مادة التفكير ([13]).

فيما يعرفه شلنج بأنه الملكة الوحيدة التي تمكن الشاعر أو الفنان بل وحتى الفيلسوف من الوصول للحقيقة وهي عنده قوة سامية تستطيع جمع الصور من الطبيعة وإعادة تنظيمها وتوفيق متناقضاتها ([14]) كما يعرف التخيل بأنه فعل المتلقي

---

[11] - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ج7ص 449 .

[12] - ابن منظور ،لسان العرب ،ج9 ص 225و ص228 .

[13] - محمد عثمان نجاتي، الإدراك الحسي عند ابن سينا ،دار الشروق ،بيروت ، 1980م ،ص132.

[14] - د.علي محمد هادي الربيعيّ، الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح، ط1، بغداد ،1433هـ -212م ،ص 40.

الذي يتوجه نحو التذوق للعمل والفهم له أما التخيل فهو فعل المبدع الذي يتوجه نحو الإنتاج للعمل الإبداعي (15).

وهو أيضا قوة تنقل الإنسان من التعامل مع المعطى السائد والمألوف إلى التعامل مع المتشكل بإرادته وما يطمح إليه ولا يمكن تحقيقه على أرض الواقع (16).

والخيال يمثل خلق الصور، فالخيال ربما لديه القدرة على إنتاج ما لا نهاية من توليفات مختلفة وهو يخلق روابط بين الأشياء. ما يمكنا من الربط بين صوت الرعد، وشرارات البرق، وفكرة الإلوهية؟ (17). وبينما يطلق النقاد اصطلاح الخيال العلميّ على ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم من العلوم التكنولوجية سواء في المستقبل القريب أو البعيد، كما يجسد تأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة في الأجرام الفضائية الأخرى (18).

فان علم النفس من زاوية أخرى يعرف الخيال Imagination بأنه نشاط نفسي تحدث خلاله عمليات تركيب ودمج بين مكونات الذاكرة والإدراك، وبين الصور العقلية التي تشكلت من قبل خلال الخبرات الماضية ، وتكون نواتج ذلك كله تكوينات وأشكال عقلية جديدة (19).

ويمكنك ان تلاحظ تدجين علم النفس لمفهوم الخيال بعدِّه نشاطا نفسيا، ولكني لا أعلم ما حجم توافق صيرورة النتيجة التي تبلورت في هذا التعريف المتمثلة

---

[15] - د.كمال الزماني ،حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي(رضي الله عنه)، عالم الكتب ،الأردن، 2012م ، ص61 .

[16] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ، الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح ، ص10 .

[17]- Paolo Fabiani.The Philosophy of the Imagination in Vico and Malebranche . Translated and Edited by Giorgio Pinton .Firenze University Press.2009 . p218

[18] - جان غايتينو ، أدب الخيال العلمي ،ترجمة ميشيل خوري، دار طلاس، دمشق 1990، ص29 .

[19] - شاكرعبد الحميد- عبد اللطيف خليفة،دراسات في حب الاستطلاع والإبداع والخيال، منشورات دار غريب، القاهرة2000، ص126.

بأشكال عقلية جديدة، فتعريف علم النفس لا يبدو مقنعا جدا. ويعرف الخيال أيضا بأنه جميع الخبرات شبه الحسية أو شبه الإدراكية التي نكون على وعي ذاتي بها، ونتواجد في غياب الخبرات المنتجة للمثيرات(20) . ويعدّ كذلك عملية عقلية عليا تقوم في جوهرها على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة، بحيث تنظمها في صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل(21). هذا من الجانب التعريفي لعلم النفس لكننا في مجال مختلف ثانٍ نجده بوظيفة أخرى، فالخيال يطلق على الصورة المشخصة التي تمثل المعنى المجرد تمثيلاً واضحاً، وهذا المعنى مألوف في الأدب والشعر والفن، ويرادفه التشبيه، والمجاز، والرمز، والاستعارة...الخ.

والخيال عند فلاسفتنا القدماء قوة للنفس تحفظ ما يدركه الحسّ المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، وهو عند الصوفية يشير إلى الوجود، لأن الناس كما قيل نيام لا يرون في هذه الدنيا إلا **خيالا**، فإذا ماتوا انتبهوا، وكل من تجلى عليه الحق فعرفه أدرك أن هذا العالم المحسوس **خيال** نائم، وأن الارتقاء إلى الله لا يكون إلا بالانتباه من النوم([22]) .

والخيال بشكل عام هو تكوين صورة عن شيء أو شخص ليس حاضرا بالفعل، أي إنه يهدف إلى تكوين نسخة ثانية، من واقع محتمل([23]) .

ثانيا: تداخلات مفاهيمية

توجد تداخلات متفاوتة المعنى لمفهوم الخيال بعضها يحمل طابعا نفسيا وآخر فكريا أو أدبيا وغير ذلك من المعاني، ولكنها جميعها تدلل على تعبير واحد هو

---

[20] - سهير أنور محفوظ ،التخيل العقلي لدى طالبات الجامعة في علاقته بالأسلوب المعرفي، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد الثامن، ص169.

[21] - عبد اللطيف محمد خليفة، علاقة الخيال بكل من حبّ الاستطلاع والإبداع لدى عينة من تلاميذ المرحلة الإعدادية، المجلة العربية للتربية، العدد الأول ، 1994 ، ص 55.

[22] - د.جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص546-547 .

[23] - كولن ولسون، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة زكي حسن، دار الآداب – ط 6،2001، ، ص5.

القدرة المبدعة على تصور الأشياء بطريقة مغايرة فمن التفرعات المنضوية و هذه التعريفات هو مسألة الفرق بين التخيل والخيال كما يقول رينيه ويليك . فان التخيل ملكة تنتج تأثيرات فعّالة من عناصر بسيطة في حين أن الخيال ملكة تستثار بها اللذة والدهشة جراء التنوعات بالمواقف والخيال المتراكم([24]). أو لنقل بأن عملية التخيل هي الفعل الذي تنتجه القوة(الخيال).

أما مصطلح الخيال الإبداعي فيفسر بأنه إيجاد أشكال وتصورات جديدة لمضامين قديمة ([25]). فالتخيل الإبداعي، هو أن تنتخب المخيلة عناصر تتصرف فيها بالتأليف وهو ما يشمل التخيل في التشبيه والاستعارة فالتشبيه كقول النابغة (فانك شمس والملوك كواكب = إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكب) وعمل الخيال هنا هو إحضار صورة المشبه به (الشمس) والكواكب وإلغاء وجه التباين بينه وبين المشبه به (الممدوح) ([26]).

ومن المعاني التي تتقارب والخيال مفهوم الفنتازيا، فيعرف قاموس أكسفورد الفنتازيا أو التخيل بأنه حلم يقظة ينبعث نتيجة للرغبات أو الاتجاهات اللاشعورية، انه العملية أو الملكة الخاصة بتكوين تمثلات عقلية للأشياء التي لم تكن موجودة فعلا والتخيل ينشط – بنحو فعال – الخيال الواعي(الإرادي) على عكس أحلام اليقظة التي تكون في العادة سلبية مع أن فرويد أشار إلى تشابهات كبيرة بين التخيل (الفنتازيا) وأحلام اليقظة وكانت الفنتازيا كمصطلح توحي

---

[24] - رينيه ويليك، تاريخ النقد الأدبي الحديث 1750م-1950م، ج2 ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، القاهرة، 1998م ، ص 252 .

[25] - د.شاكر عبد الحميد ، العملية الإبداعية وفن التصوير، عالم المعرفة ،عدد109،الكويت ، 1987م،ص128 .

[26] - محمد الخضر حسين التونسي، الخيال في الشعر العربي، المكتبة العربية، دمشق،1340هـ -1922م،ص 20 .

بحرية أكبر للعقل سواء بالنسبة إلى الاستبصار الإبداعي أو الإدراك والخداع الإدراكي (الإيهام) ([27]).

وبالمقابل فان كلمة توهم بدأت تحيط بها الشكوك وعدم الثقة من خلال النزعة العقلانية المتزايدة في القرن السابع عشر وكان هوبز هو آخر كاتب يفضل استخدام الوهم بدل الخيال للإشارة إلى الحرية الإبداعية والاختراعية العظيمة للعقل ([28]).

ولكن هل تقترب خاصية الخيال أو الوهم من اصطلاح الإدراك ؟ ربما يجيبنا المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة من أن الإدراك perceptiom هو حصول صورة الشيء المدرك عند العقل وهو بهذا المعنى يرادف العلم ويتناول أقساما أربعة هي الإحساس (إدراك الحس)، التخيل (إدراك الخيال)، التوهم (إدراك الوهم) والتعقل (إدراك العقل) وبعد ذلك يكون تمثل حقيقة الشيء وبهذا يكون الإدراك عبارة عن كمال يحصل به المزيد من الكشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم بكل واحدة من الحواس وأول مراتب وصول العلم إلى النفس الشعور ثم الإدراك ([29]).

وفي بحث وليم دوف عام 1776م مقال حول العبقرية الأصيلة جعل بإمكان الخيال القيام بكل من الاكتشافات للحقائق المجهولة وأيضا عرض وتقديم الابتكارات وهو في الحقيقة اختراع تشكيلي أما التوهم فعلى العكس فهو نوع من أنواع الترابط والذاكرة والوظيفة الخاصة به ويوصف بأنه متهور وبلا قانون[30]

---

[27] - د.شاكر عبد الحميد، الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي،عدد 360،عالم المعرفة، الكويت ،2009م ،ص45.

[28] - د.شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي ،ص46.

[29] - عبد المنعم الحفني ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ط3، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000م ، ص36 .

[30] - د.شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي ، ص78 .

ويتداخل مفهوم الخيال والتصور فيفرّق علماء النفس مثل ماركس وليست بين التصور والخيال بوصفهما مفهومين منفصلين حيث يتكئ التصور على الخيال فالتصور عبارة عن فعالية استرجاعية لصورة رسمت في الدماغ أما الخيال فهو إبداع ونسج صور جديدة وبعض علماء النفس مثل سابن وكروز يرى أن الفعاليتين عملية واحدة لأنهما رؤية داخلية للعقل ([31]).ومن واقع الإدراك أيضا فان مجرد حصول صورة الشيء في العقل وتمثيل حقيقة الشيء المدرك من غير الحكم عليه بالنفي أو الإثبات يسمى تصورا أما الحكم بإحداهما فيسمى تصديقا .

وهذا التضايف والتداخل يشمل أيضا مفهوم الخيال والإدراك، فهذا الأخير لا يعرف كنه العلل إلا من خلال الخيال وهو يعتمد في آلياته على المعلومات الحسية الواصلة للدماغ بالإضافة إلى الخبرة الناجمة من تنبيه الخلايا العصبية، أما الخيال فتغذية الصور المخزونة في الذاكرة القادمة عبر الإدراك ويدرك الإنسان عالمه الداخلي عبر التخيل والشخص الأكثر تخيلا هو الأقدر على الإدراك([32]).

ثالثا: أهمية الخيال

تقترب مهام الخيال من فعالية الإلهام التي تقدم حلولا منتجة جدا ولهذا فهي نافعة في أغلب الأحيان إذا كانت لا تؤدي إلى مفهومين :

التعامل مع الخيال الغرائزي فقط الذي يترجم بطائر الخيال .

اعتماد الخيال السالب ومنه الغرائزي أو غير الغرائزي فالخيال السالب مثلا يمثل السيناريو السالب المعتمد في الدراسات المستقبليّة والمؤدي إلى رسم الخطط الشريرة أو الاستعبادية أو الموجهة للتدمير وكل ذلك يقود إلى تراجع في قدرة الإنسان على التقدم وتذليل عقبات حياته وترك الانغماس في الوهم، ولأنها حد فاصل بين الوهم والحقيقة والإمكانات والتصورات التي يمكن أن تقدم للحقائق فان الخيالات مهمة إلى درجة أنها تعطيك تصورا لفهم الأحداث والأشياء وفهم

---

[31] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ،الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح،ص94.

[32] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ،الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح،ص 94-95.

المستقبل وتعدد الخيارات وتوفر كينونة أخرى للإنسان تمكنه من سبر أغوار الأفهام والأحداث على حد سواء .

يقول اناتول فرانس (لولا أحلام الفلاسفة في الأزمنة الماضية لكان الناس يعيشون إلى الآن كما كانوا يعيشون قديما، عراة أشقياء في الكهوف، لقد كان إنشاء أول مدينة خيالا من أخيلة المفكرين فالخيال هو مبدأ التقدم وفيه محاولة إيجاد المستقبل الحسن) ([33]).

والخيال هو محاولة الإنسان التحرر من القيود والسدود بحدود الزمان والمكان، وامتلاك القدرة والملكة الإدراكية الخصبة، التي تمكنه من التحليق في الآفاق الفسيحة بقصد الكشف عن حقائق الأشياء، وكل كشف بالضرورة يؤدي إلى تغيير([34]). ومن فوائد دراسة الخيال أنه يشجع على التسامح كما يقول نورثروب فراي، فهو طريق لتقنيين التزمت([35]) . وهو ضروري للعلم التطبيقي والنظري فهو قوة للفرضيات، أما الخيال في الأدب فلا يواجه هذا الاختبار فأنت لا تستطيع مباشرة أن تربطه بالحياة أو الواقع ([36]).

وربما لأهميته في العمليات المعرفية كالانتباه والتذكر والتفكير فقد تعددت الدراسات المختلفة حول الخيال ومنها تلك التي أجريت في جامعة ميتزربيش في 1800م وهي أولى الدراسات حول التخيل وعلاقته بعمليات التفكير، ومن ثم بدأ الاهتمام بهذا الموضوع من قبل علماء النفس التجريبيين وتركزت دراساتهم في

---

[33] - محمد عزام ، الخيال العلمي في الأدب ،ط1، دار طلاس للدراسات ، دمشق ، 1994م،ص27 .

[34] - كولن ولسون، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث،ص240 .

[35] - نورثروب فراي ،الخيال الأدبي ، ترجمة حنا عبود ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995 ،ص47 .

[36] - نورثروب فراي ،الخيال الأدبي،ص56-57 .

التخيل ودوره في عمليات التذكر والاحتفاظ، ومن ثم ازداد الاهتمام به بشكل كبير مع ظهور علم النفس المعرفي لما له من دور هام([37]) .

إن وظيفة الخيال، بصورة اعتيادية هي أنه ينظر إلى المستقبل ليوسع الإدراك الحالي، حتى لا تعود هناك رابطة بين رؤياه وحياة الشخص المألوفة، وهو يثير الإرادة، عندما يرتبط بهدف مستقبليّ وكلما ابتعد الهدف زادت قوة الخيال([38]) . ويعتمد الخيال على الاسترجاع باستعادة الفرد للصورة الحسية موضوع التفكير والوظيفة الابتكارية وهي القدرة على تركيب وإنتاج صور لا توجد في الواقع ([39]) . ولذلك التركيب صلة بابتكار الأشياء وتوليف المؤلفات وله علاقة بالفن والشعر وتغيير نمطية الأشياء أيضا فيقول هيجل بهذا الصدد وفيما يتعلق بالقدرة العامة على الخلق (يجب أن نسلم بأننا نرى في المخيلة أهم ملكة على الإطلاق، ويجب أن نحذر الخلط بين الخيال المبدع والخيال السلبي المحض وعلى الخيال المبدع سوف يطلق اسم التخيل وهو نشاط خلّاق ينطوي على حسّ يتيح للفنان أن يطبق الواقع، لكن التخيل لا يكتفي بهذا الإدراك البسيط للواقع الخارجي والداخلي بل يجب أن يعبر عن حقيقة الواقع) ([40]) .وما من شك بارتباط الخيال بالإبداع والتميز .

ففي دراسة اسكمدلر بعنوان علاقة الصور الخيالية بالإبداع كشفت نتائج الدارسة أن هناك ارتباطاً إيجابياً دالاً بين التخيل والإبداع، إذ حصل الطلاب ذوو

---

[37] - رافع النصير الزغول،عماد عبد الرحيم الزغول ، علم النفس المعرفي،منشورات دار الشروق، عمان، الأردن . 2003م، ص198.

[38] - كولن ولسون، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث ،ص237.

[39] - مجدي عبد الكريم حبيب ،التفكير الذاتي والسمات الابتكارية المصاحبة للتفكير متعدد الأبعاد لدى طلاب المرحلة الجامعية،مجلة علم النفس ، منشورات الهيئة المصرية للكتاب، العددان 40 و41،القاهرة 1997م ، ص59 .

[40] - هيجل ،المدخل الى الجمال ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط3،1988م،440-447

الدرجات المرتفعة جميعهم على اختبار الصور الخيالية على درجات عالية على مقياس الإبداع ([41]).

كما أن العمل الأدبي والفني لا يبدو متمسكا بجذور الحياة إلا إذا قام أساسا على التصور القوي والتخيل الصحيح الناضج المتفنن([42]) . فالخيال يهب الحياة للجماد والحركة للسكون وفي أعمال هوميروس، دانتي، ملتن، كولدرج شطحات خيال، ولقد هيمن الخيال على المسرح سيّما المسرحيات الذهنية والرمزية لأن صورة الأحداث تتشكل في ذهن المتلقي وليست في مديات رؤيته البصرية ([43]). و التخيل شرط مهم للعبقرية لأن التخيل يوسع من أفق العبقري ليشمل المثل الممكنة([44]).

رابعا :استبطان مهام وتصنيفات الخيال

لا يختلف الحديث عن مهام الخيال أو تصنيفاته ففي الأخيرة دلالة على تداخلها مع المهام وربما يتوجب علينا التطرق لمهام الخيال قبل الحديث عن تصنيفات مهمة تتعلق بذلك النظام الغريب، فقد حدد ايفور ارمستونج (ت1979م) ستة معان للخيال تمثل تنوعات مهمة و كانت على النحو الآتي: ([45]) :

تولید صور واضحة من المرئية سالفا .

هو لغة المجاز يستخدمه أصحاب الاستعارة والتشبيه .

هو تصور الحالات الذهنية للغير، عن طريق المشاركة الوجدانية .

هو الاختراع أو جمع العناصر الخالية من الرابط .

---

[41] - شاكر عبد الحميد-عبد اللطيف خليفة، دراسات في حبّ الاستطلاع والإبداع والخيال، منشورات دار غريب، القاهرة، مصر ،2000م، ص163 .

[42] - د.عبد الفتاح الديدي،الخيال الحركي في الأدب النقدي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ، 1990م، ص11.

[43] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ، الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح ، ص11.

[44] - سعيد محمد توفيق، ميتافيزيقيا الفن عند شوبهاور ،ط1، دار التنوير ،بيروت،1983م،ص 130 .

[45] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ،الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح ، ص139 .

الجمع الملائم بين أشياء يعتقد أن لا رابط بينهما .

هو قوة تركيبية سحرية تكشف عن ذاتها بخلق توازن بين الصفات المتعارضة .

والصفة المشتركة في كل تلك النقاط الحيوية هو التغير والتجديد والتبديل وكل الديناميكيات التي تستثني السكون والخمول أو النمطية بشكل عام .

وفي تصور عام وأساسي يرتبط بتشغيل الخيال الفلسفي يقول باشلار إن بإمكاننا التعبير عن أفكارنا الفلسفية من خلال نمطين من الخيال الأول خيال يولد العلة الصورية وآخر يولد العلة المادية عبر عنهما بالخيال الصوري والخيال المادي([46]). وهو تصنيف يستحق الاهتمام لأنه يعتمد على الثنائية ولكنه يبدو أقرب إلى أفكار المدارس اليونانية القديمة .

ويصنف بعضهم الخيالات على نمطين، منها الاستحضاري الاسترجاعي والثاني هو الإنشائي التأليفي والأول يسترجع الصورة الحسية ومهمته الإعادة لما حفظته النفس وبقي بعد غياب المحسوسات، أما الثاني فيقوم بربط الصور بوثاق بعضها مع البعض الآخر، والفرق بين النوعين ليس مطلقا لأن الثاني لا يبدع الصورة من العدم بل يركب الصور([47]).

كما قسّم المفكر جليبر ديران مختلف الصور وتعبيرات المخيلة على نوعين من الأنظمة هما النهاري والليلي، والمتخيل هو ما ينتج من التوتر الموجود بين هذين النظامين وما ينتج من التعارض المميز لمختلف الصور([48]).

---

[46] - غاستون باشلار، الماء والأحلام – دراسة عن الخيال والمادة، ترجمة د.علي نجيب إبراهيم، تقديم أودنيس،ط 1 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2007م، ص14. ومن المهم الإشارة الى تصنيف باشلار بهذا الصدد فهو يقول إن الخيال ضربان: المادي والصوري وهو هنا يؤسس بحثه على تأمل الخيال المادي ويعدّه ملكة تشكل من العناصر المادية الأربع المتطابقة مع أربعة أمزجة (الماء والتراب والنار والهواء) وهو الصورة التي تطابق الواقع وتغنيه ومن ثم فهو ملكة فوق بشرية ، انظر غاستون باشلار، الماء والأحلام – دراسة عن الخيال والمادة، ص280 .

[47] - جميل صليبا ، علم النفس ،ط3، بيروت،1984، ص 74.

[48] - محمد نور الدين افاية، المتخيل والتواصل – مفارقات العرب والغرب - ، دار المنتخب العربي ، ط1 ، 1414هـ - 1993م،ص27.

وهناك ثنائيات أخرى تعتمد تقسيم الخيال على أساس 1- الخيال الحرّ (أحلام اليقظة والأوهام) كما عند الأطفال 2- المقيد الذي نقننه لهدف محدد كما في التصميم والاختراع وهم يكبحون خيالهم لتحقيق هدف معين، أو يقسم الخيال على الإبداعي الذي يؤلف الصور من تركيبات مبتكرة والتفسيري، بينما يقسمه أحد الباحثين على الخيالات الشعورية وهي المنتجات اللفظية أو التشكيلية واللاشعورية وهناك أيضا الخيال اللفظي كما في التفكير المجرد أو العقلي البصري([49]).

إن الفرق بين نوعيات الخيال هو الفرق بين الفنان، والإنسان الاعتيادي، فالفنان له القدرة على توليد كميات كبيرة من الطاقة ويستخدمها لتوجيه الخيال([50]) . وهذه حقيقة مهمة لعبت دورا مهما في إسناد وإدامة الحضارات، وهي فكرة تتواصل وتستمر باستمرار خصوبة وقوة الإفراد على التخيل والتصور، كما تتناسب وتنوع الفئات الإنسانية المختلفة، فيكون الاختلاف الحاصل بين البشر واختلاف مهاراتهم من المسائل التي يصنف على أساسها الخيال. وقد برع علماء النفس في هذا الدور ففي القرن التاسع عشر اهتمّ ريبو عالم النفس الفرنسي بالخيال ومعرفة دور الانفعالات والعمليات اللاشعورية لمعرفة الإبداع أما أنواع الخيال عنده فهي([51]):

التشكيلي وهو خيال يقوم على أشكال الصور ومن ثم على أساس الإدراك والإحساس أكثر من قيامه على الانفعال .

---

[49] - د.علي محمد هادي الربيعيّ ،الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح ،ص92 .

[50] - كولن ولسون، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ص238 .

[51] - د.شاكر عبد الحميد، الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي،عدد 360،عالم المعرفة ، الكويت ،2009م ،ص55-59 . وهناك تقسيمات متعددة متنوعة تشير الى وظائف مختلفة منها : تقسيم الخيال إلى التخيل التمثيلي والمبدع انظر د.جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1- ص546-547 .

خيال التجريدات الانفعالية وهو خيال انتشاري متشعب يستخدم صورا تقوم بين الادراكات والتصورات أو المفاهيم العقلية وتربط بينهما ومثاله اللوحات الانطباعية والموسيقى الرمزية.

الخيال العددي ويتمثل باستخدام الرموز للأرقام كما في الرياضيات وأيضا في الدين والأساطير.

الخيال الأسطوري أو الصوفي وهو شكل من أشكال الخيال غير المحدود وهنا فان لا فائدة من الإحساسات والادراكات ويكون الاستدلال العقلي مضللا .

الخيال العلمي ويشمل أنواعا كثيرة منها في الهندسة والكيمياء والفيزياء وهو يقوم على ثلاث أنشطة أساسية هي الملاحظة والفرض والتحقق أو الإثبات .

الخيال الميكانيكي أو العملي وهو نمط من الخيال يقوم على أساس المرونة العقلية، ومراحله الأساسية هي اكتشاف المشكلة، الاختمار، ميلاد الحل، التحقق النهائي للفكرة .

الخيال التجاري، ومثله ريبو على هيئة حرب وصراع بين طرفين وهو كذلك نمط من الخيال يقوم على أساس الحدس، وله القدرة على وضع افتراضات دقيقة حول تذبذب الاقتصاد وعلى عكس بقية الأقسام فان ريبو افترض أن هذا القسم يؤدي الى الوصول إلى نوع أصيل من الاختراع للأفكار والمشروعات .

الخيال الاجتماعي أو الأخلاقي وهو يتعلق بالأحكام الأخلاقية والاجتماعية وهي ليست أحكاما فطرية بل مكتسبة ، ومنه الخيال العلمي الاجتماعي أو الخيال الاجتماعي العام ويقصد به كيف تسهم المفاهيم والصور والقصص والرموز والممارسات الخاصة بثقافة معينة في تكوين خيال أو متخيل خاص بها وكيف يسهم الأدب والثقافة والصحافة في تشكيل هذا الخيال.

وهناك أنواع أخرى مثل المتخيل الثقافي والخيال السياسي والجغرافي والتاريخي والاقتصادي والرياضي والأدبي والموسيقي والانفعالي والفلسفي والخيال التطبيقي والتجريبي والتجريدي وخيال الضوء، وإذا كانت هذه العملية بمثابة

استقراء لتنوعات الخيال فان تقسيمات أخرى يمكن أن تشكل جانبا معينا من تصنيف للخيال أو تشير إلى تبسيط لأنواع الخيال وهي الإحالة إلى الثنائية كما أرى، فربما يكون الخيال عبارة عن:

الممكن أو اللاممكن.

المادي والمعنوي.

الخيال البنّاء وغير البنّاء .

الخيال الذاتي والموضوعي.

خيال الشهوة وخيال المعرفة.

الخيال الجزئي والكلي.

التفكيكي والتركيبي.

الخيال الفاعل والمنفعل.

خيال الماضي والمستقبل.

الخيال الخلّاق وغير الخلّاق.

خيال الأحرار والعبيد.

وهكذا يمكن لنا الخروج بجملة من الحوافز التي تساعدنا على تحريك الأفهام بمسارات جديدة، فالقضية لا تعني هنا نمطا للتصنيف بقدر الإشارة إلى القابلية على توسيع المدارك باتجاهات متحركة خلّاقة يمكن لها إنتاج الأفكار والتصورات التي تساعد على إلغاء العجز والقصور والرتابة وتقديم بدائل النمو والاحتمال والإبداع والعبقرية وهي تمثل الأشياء المختلفة إلى تؤدي إلى فرد ومجتمع ووطن وحضارة متميزة.